مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الحرب والأسرة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني–رؤية تاريخية أنثروبولوجية–

The war and the family in the middle maghreb in era zianide

محمد ناصري[1]، خالد بلعربي[2]

[1] Mohammed naceri,[2] Khaled belarbi

[1] كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجيلالي ليابس–سيدي بلعباس–

mohammedunivsba@gmail.com

مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر المتوسط

[1] University of Humanities and Social Sciences sidi bel abbés

[2] كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجيلالي ليابس–سيدي بلعباس–

belarbi.tlemcen@yahoo.fr

مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر المتوسط

[2] University of Humanities and Social Sciences sidi bel abbés

تاريخ الارسال: 2020/02/09 تاريخ القبول: 2020/03/06

ملخص:

شهد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين أوضاع أمنية مضطربة تميزت بنشوب صراع عسكري بين دول ما بعد الموحدين الحفصيين شرقا والمرينيين غربا وهو ما يحيل على وجود انعكاسات وآثار خلفتها هذه الحرب على كل مجالات المعاش بالاصطلاح الخلدوني، وعلى الإنسان كفرد تترسب في نفسيته آثار ومخلفات وإفرازات، وعلى المستوى الجمعي باعتباره يعيش ضمن مجتمع يؤثر ويتأثر. فالأسرة هي مصطلح جامع يعبر عن كل ما يمتّ بصلة للمودة والتقارب، هي خلية تضم الرجل والمرأة والأبناء، ولاشك أن كل فرد منها عانى من هموم وهواجس وآثار معينة انعكست عليه، قد تطفو على السطح انعكاسات معينة يتقاسم في الاكتواء بنارها كل أفراد الأسرة، على أنه في المقابل لابد وأن تكون

[1]المؤلف المرسل: محمد ناصري، mohammedunivsba@gmail.com

هناك آثار أخرى حسب دور كل فرد وبنيته الفيزيولوجية ودوره في المجتمع، ومن هذا الاعتبار تصب إشكالية هذا المقال التي تندرج أساسا على الجانب المهمش من الحرب.

كلمات مفتاحية: الأسرة، الحرب، المغرب الأوسط، المرأة، الطفل، تلمسان.

Abstract:

Middle maghreb in the periode from the seventh to the nineth according to Islamic history disturbed situations related to securitythatcaracterizedinto the tensions betweenseveral empires from the west and the east, thislaterconsequences and effectson all the basic field of life and on humanbeings in general as member of society weathermorally and itspsycological side.as heconsidered as a creaturethatlives in a society thateffed and effected

Keywords: tlemcen; children; woman; war; middle maghreb.

مقدمة:

عاش المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين أوضاع أمنية أقل ما يقال في وصفها أنها مضطربة، ميز مشهده العام طابع استمرارية الصراع العسكري بين دول ما بعد الموحدين الحفصيين شرقا والمرينيين غربا، وهما السلطتان اللتان طمعتا في ضم المغرب الأوسط تحت حكمهما، كما كان الصراع ناشبا في الجبهة الداخلية ممثلا في معارضي السلطة من القبائل البربرية والعربية، ما يعطي انطباع أولي للباحث باعتبار الفترة المدروسة فترة حرب شبه دائمة قليلة الاستقرار، وهو ما يحيل على وجود انعكاسات وآثار خلفتها هذه الحرب على كل مجالات الحياة، وعلى الإنسان كفرد تترسب في ذهنيته ونفسيته آثار ومخلفات وإفرازات، وعلى المستوى الجمعي باعتباره يعيش ضمن مجتمع يؤثر ويتأثر، وهو ما ستحاول هذه الورقات التطرق إليه، منطلقين من تتبع ورصد ذهني متعلق بمخلفات وانعكاسات الحرب على الأسرة ساعين لاستكشاف مختلف الترسبات التي خلفتها عليها.

الأسرة، نعم هو مصطلح جامع يوحي بالدفئ والمودة، هي خلية تضم الرجل والمرأة والأبناء، ولاشك أن كل فرد منها كانت له هموم وهواجس وآثار معينة انعكست عليه، قد تكون هناك ترسبات معينة يتقاسم في الاكتواء بنارها كل أفراد الأسرة، على أنه في المقابل لابد وأن تكون هناك آثار أخرى فردية حسب دور كل فرد وبنيته الفيزيولوجية ودوره في المجتمع، ومن هذا الاعتبار تصب إشكالية هذا المقال التي تندرج أساسا على الجانب المهمش من الحرب، لا نريد سردا لبطولات ومعارك وغارات، بقدر ما نسعى إماطة ستائر

العتمة على إنعكاساتها على الزوج الذي كان مقاتلا في الجيش ويقضي أوقات طويلة في المحلة عبر تنقلاتها شرقا وغربا، وعلى الزوجة التي تتحمل عبئ مسؤولية البيت فترة غيابه، فتكون أما وأبا لأطفالها، ثم ماذا عن حاجاتها الجنسية؟ كيف تشبعها وزوجها غائب عنها؟ وكيف تكون وضعية الأطفال إذا قتل والدهم في إحدى المعارك، فمن يعيلهم؟ هل ساندت السلطة الزيانية ماليا عائلات المفقودين في الحرب؟ هي تساؤلات كثيرة سنحاول مساءلة نصوص المرحلة للإجابة عنها:

أولا: الطفل وتدابير النجاة...صراع الموت والحياة:

تعرض الطفل خلال العهد الزياني إلى العديد من الضغوطات والتجارب السيئة المرتبطة بظروف الحرب التي خيمت آثارها على ذهنيته ونفسيته سنين طويلة وارتسمت كتجربة كان لها انعكاس سيئ على شخصيته، باعتبار أن الطفل هو رجل المستقبل، وستنعكس كل هذه المعاناة على علاقاته وسلوكياته ولاشك أن ذلك سيصبغ الحياة الاجتماعية بهذا الطابع، الأمر الذي له كانت له دلالاته على مجتمع المغرب الأوسط خلال الفترة مدار الدرس.

والحال أن الطفل رغم صغر سنه لم يكن بمنأى عن الخطر الذي يداهم المدن ولهذا فأولى التدابير والاحترازات التي اتخذت خلال هذه الفترة تمثلت في توفير سبل لحماية الطفل من الخطر والذي لا يخرج عن أمرين، فإما قتل أو أسر واسترقاق، ويمكن القول أن الطفل بمورفولوجيته الضعيفة وسنه كان حافز للمقاتلين للاستماتة في الدفاع، بحكم أن الهزيمة ستؤدي للتنكيل وإهانة أطفالهم واسترقاقهم، وهو ما كان فحوى القرار الذي اجتمع حوله أهل الجزائر بعد محاصرتهم من طرف أبو يعقوب سنة 761هـ/1361م وأدركوا خطر ما يحدق بهم فكانت كلمتهم مجتمعة حول مباشرة القتال "ونحمي الولد والأهل ولا نتغافل"(مؤلف مجهول، 2011، ص100) وهي إشارة ضمنية إن دلت على أمر فإنما تدل على أن الطفل عانى نفس المصير الذي لاقاه الكبار، بل ولم يعتبر إيذاءه منقصة أو مذمة تلاحق الجيش الغازي، بدليل أن صاحب الرواية من بلاط السلطة الزيانية وأورد هذا الخبر دون تحرج، مما يجعلنا نطمئن للقول بانعدام أخلاق الحروب خلال هذه الفترة، باعتبار عدم التفريق بين الأعزل وبين حامل السيف أو المقاتل، وهي حالة خطيرة من العنف وصل لها إنسان ما بعد الموحدين.

ومن ضمن الاحترازات التي بادرت إليها السلطة الزيانية في نفس الأمر ما ذكره صاحب زهر البستان عن خروج أبو سالم المريني بمحلته للسيطرة على تلمسان سنة 761هـ/1361م، فكان أول تدبير سارع إليه أبو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

حمو الثاني كان مراسلته لوالده أبي يعقوب بترك حصار الجزائر وموافاته بتلمسان، حيث أوكل إليه مهمة الخروج بالأهل والأطفال من تلمسان تجاه الصحراء(مؤلف مجهول،2011، ص103) حتى لا يظفر بهم المرينيين، ولم يكتف بهذا، بل مكث مع حصة من الفرسان بتلمسان حتى يطمئن عن قطع قافلة أبي يعقوب مسافات بعيدة قطعا لأي محاولة ملاحقتهم من الجيش المريني، خصوصا أن قافلة تضم أطفال ونساء يكون سيرها بطيئا، وإذا حدث وأن اتخذت تدابير الحماية في سعة قبل وصول الجيش الغازي واحتدام القتال فكان ذلك أسلم وأضمن لحمايتهم، أما إذا وقعت المدينة في حصار وشارف الخصم على اقتحامها فيكون الأمر أشد على أهل المدينة خصوصا أطفالها، وهو ما حدث لساكنة وهران عقب مشارفة أبو يعقوب على اقتحامها سنة 762هـ/1362م، وقد أدركت حاميتها أن الجيش الزياني سيرتكب الأفاعيل عقب اقتحامه للمدينة بحكم أنها باشرت قتالها ولم تستسلم وتحفظ دماء ساكنتها، ولهذا لم يجدوا حلا سوى القفز من الأسوار "يطلبون الأمن عن الأهل والعشائر"(مؤلف مجهول،2011، ص140) وقد يستغل الأطفال لطلب الأمان من المحاصر استجلابا لشفقته فقد طلب عامة تلمسان من العلماء أن " يخرجوا مع الأولاد الصغار بألواحهم يطلبون من السلطان أبي فارس العفو عن أهل البلد" (ابن مريم،2010 ، ص104).

إذا كان اتخاذ التدابير لحماية الطفل تعبير عن سعي لتجنيبه أن يكون من ضحاياها فإنها لم تكن دوما ناجحة، بدليل تعرض الأطفال للقتل في العديد من الوقائع، وندعم قولنا ببعضها والتي شهدت مقتل أطفال دون أدنى اعتبار، فيكفي أن يكون ضمن الخصم حتى يصبح هدفا للطعنات الطائشة، فقد قتل ولد السعيد الموحدي من طرف جيش يغمراسن وسط الالتحام (عبد الرحمن بن خلدون، 2000، ج7، ص110)

كما اقتحم يوسف ابن الزابية تلمسان بدعم مريني وقتل ابن أخيه تاشفين الذي كان منصبا من طرف أحمد بن العز (عبد الرحمن بن خلدون، 2000، ج7، ص197)كواجهة للسلطة الزيانية، وهي حادثة تدل على حجم العنف المحتقن في النفوس والتعطش المجنون للسلطة الذي يجعل صاحبه لا يفرق بين طفل وكبير.

كما انجر عن اقتحام الجيش الحفصي لتلمسان سنة 640هـ/1242م عيثهم في قتل الأطفال (عبد الرحمن بن خلدون، 2000، ج7، ص108) فضلا عن السبي الذي تعرضوا له، ففي إحدى المعارك بين التي جمعت بين أبو حمو الثاني ومعارضه أبي زيان، تكبد هذا الأخير هزيمة انجر عنها عيث الجيش الزياني في سبي الأطفال (يحيى بن خلدون، 2011، ج2، ص188) وأيضا في سنة 773هـ/1371م أين انهزم أبو حمو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بمنطقة أوماكرا أمام المرينيين " وحيل بين أمير المسلمين وبين ظعنه، بما اشتمل عليه من مال وذخيرة وأهل وولد"(يحيى بن خلدون، 2011، ج2، ص244).

شكلت هذه التجاوزات هاجس لدى الأولياء والمتصوفة باعتبار نفسياتهم المسالمة والمتوجهة في خدمة الصالح العام، وهو ما يعطي انطباع بأنهم تأثروا كثيرا لهذا القتل والتنكيل الذي تعرض له الطفل، ونسوق في هذا الصدد الحوار الذي دار بين ابن مرزوق الخطيب ووالده عند مغادرته للحرم المكي بقوله له " يا بني أرجو الله أنك إذا وصلت إليه لا تقيم إلا أياما يسيرة، وتفتح تلمسان، ويجتمع شملك بأهلك على ما تحبه، والمرجو من الله أن يستر ما فيها من الذراري الحرم" (محمد بن مرزوق التلمساني، 1981، ص481)وهي دعوة تبين في حد ذاتها أن اقتحام الجيوش للمدن كان يصاحبه انتهاكات خطيرة على الطفل، ويمكن القول أن تدهور أوضاع الطفل خلال الحروب اعتبر إحدى أهم الانعكاسات التي طفت على السطح والتي وجدت انعكاسا لها في النشاط الأدبي ممثلا في الشعر ويظهر ذلك في إحدى قصائد أبو حمو الثاني حيث يقول في أحد أبياته(مؤلف مجهول، 2011، ص173) :

وقالوا اغتفر يا أكرم الناس ذنبنا   فكم من نساء باكيات وأطفال

ثانيا: الأطفال اليتامى

وسط مجال مشحون بالتوتر الأمني والصراع العسكري يصبح معه القتل أمر يومي معتاد، إلا أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل له انعكاسات على أسرة المقتول سواء كان جندي أو من الساكنة، فالطفل بمجرد مقتل والده يصبح يتيم لتتحول حياته إلى سلسلة من الصعوبات المعيشية نتيجة انعدام المعيل والسند الذي ينفق عليه ويدافع عنه، وإذا كانت هذه الجزئية جديرة بالوقوف على تفاصيلها واستكشاف مضمراتها إلا أن النصوص تعوزنا عن قطع أشواط متقدمة في التوصل إلى نتائج لا بأس بها، وهو ما يحتم علينا التقيد بالنصوص النوازلية التي احتفظت لنا ببعض الملامح حول أوضاع اليتامى، وقبل التطرق إلى نماذج منها يجدر بنا التوقف عند طبيعة نص السؤال الذي ينم عن استشكالات في قضايا اليتامى عجز المجتمع عن إيجاد حلول لها، وهو في حد ذاته تعبير عن الأزمة التي عانى اليتيم من تبعاتها، فقد ورد في إحدى النوازل سؤال عن "بكر بالغ مهملة" (أبو العباس الونشريسي، 2011، ج2، ص606) وهي عبارة تختصر الوضع المزري لليتامى الذين تعرضوا للتهميش والإهمال من طرف مجتمعهم، ويواصل المستفتي طرح نازلته ويفصل لنا أكثر عن مشكل هذه اليتيمة، حيث ذكر أن ابن عمها كان وليها وتولى تزويجها من رجل، وهو ما يفيد أن ولاية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

اليتيم كانت تتم من طرف أحد أفراد أسرته، ويبدو أنها قد لاقت من زوجها قسوة في المعاملة أو ضنكا في العيش، بدليل أنها هربت مع رجل آخر ادعت نكاحه (أبو العباس الونشريسي، 2011، ج2، ص606) ويمكن أن نستشف أن تزوجها من الرجل الأول كان محاولة من ابن عمها التخلص منها بدليل أنها زوجت غصبا ويظهر ذلك من جواب الفتاة بعد سؤالها عن قضية الزوج الأول فقال "نعم: وكلته على أن يزوجني ممن أحب، سوى هذا الرجل الذي زوجني منه ورجل آخر، وأما هذا الذي زوجني منه فلم أرضه ولا وكلته على أن يزوجني منه" (أبو العباس الونشريسي، 2011، ج2، صص606-607) وهو جواب يفصح أيضا عن خلاف مع موكلها.

ونجد لهذه العلاقة المتوترة بين اليتيمة ووليها في نازلة أخرى سئل عنها الفقيه محمد الشريف، وتدور حيثياتها عن يتيمة أكرهها وليها على الزواج من رجل (أبو زكريا المازوني، 2009، ج4، ص193) لكن ما هي دوافع هذا الإكراه؟ هل بسبب تضايق من اليتيمة فقط؟ نواصل طرح معطيات النازلة لنحصل على أجوبة للسؤال، يقول المستفتي أنه بعد الزواج تحسنت الأوضاع المادية للولي فقام بفسخ النكاح لاسترجاع اليتيمة (أبو زكريا المازوني، 2009، ج4، ص193) وهو جواب عن الدوافع الاقتصادية لإكراهها على الزواج بسبب تراجع المستوى المعيشي.

وقد تعجز الزوجة بعد مقتل زوجها عن توفير متطلبات العيش لأطفالها، فتتزوج بعد ترملها، وهو ما نستشفه في نص النازلة التي سئل فيها عن رجل خطب امرأة فاشترطت عليه أن ينفق على ابنتها طوال مدة الزوجية (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص390) وفي نفس السياق وردت نازلة أخرى عن "رجل تزوج بكرا يتيمة، أنكحه إياها أخوها للأم بحكم الكفالة والتربية" (أبو العباس الونشريسي، 2011، ج2، ص567) كما سئل سعيد العقباني عن " يتيمة ربيبة كفلها زوج أمها من صغرها إلى بلوغها، ثم زوجها من ابن أخيه برضاها وتفويضها له في ذلك"(أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص187) والجدير بالذكر أن هذا النوع من الحالات كان ينتج عنه مشاكل بسبب وفاة الأم وبقاء الربيبة مع زوج أمها مثلما توضحه إحدى النوازل التي سئل فيها عن " عن الرجل تكون له اليتيمة في بيته يكفلها سنين، ثم تموت زوجته وتبقى اليتيمة معه يجمعهما بيت واحد ليلا ونهارا، وليس معهما في البيت إلا بعض الصغار" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص304) ونفس الوضع حدث مع "رجل هلك وترك امرأة وأخا فتعاشرا في بيت واحد، فغر الشيطان فوقعهما في العدة" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص107).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يتضح من خلال النوازل المعروضة أنه اجتمعت دوافع مشتركة في إكراه اليتيمة على الزواج نتيجة مسببات عدة بين الفقر من جهة كما تطرقنا من قبل، وبين المسببات الأخلاقية، فقد سئل سعيد العقباني عن جواز عقد نكاح يتيمة زوجت مكرهة بسبب خوف أهلها عليها من الفساد أو أن يهرب بها أحدهم(أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص116) وهو ما يعني أن اليتيمة كانت معرضة دوما لخطر الخطف، كما لازم هذا الهاجس وليها فيصبح مستعجلا على تزويجها للتخلص منها، مصداق ذلك النازلة التي سئل فيها إبراهيم الثغري عن يتيمة لم تبلغ بعد قام قاضي باديتها بتزويجها في غياب وليها خشية على فسادها (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص145) بل وحدث تحسبا لضرورات الحرب وتعرض الجندي للقتل في أي معركة أو غارة أن قام بتزويج ابنته منذ طفولتها فقد " سئل إمام المغرب سيدي سعيد العقباني عن رجل ادعى على يتيمة أنه عقد عليها لولده الصغير في حجره بصداق مسمى نقده وكالئه وأن العاقد عليها أبوها في حياته وهي صغيرة حين العقد وأثبت بذلك وسما عند بعض القضاة"(أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص162) وسئل أيضا " عن رجل مات وترك ابنته فادعى رجل أن والدها أعطاها له في حياته وشهد له عدل أنه هو كان الخاطب لها من أبيها" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص136) كما كان الإهمال الذي يتعرض له يجعله العديد منهم عرضة للتضرر من الجوائح الطبيعية وخصوصا المجاعات، مثلما يظهر في النازلة التي سئل فيها أبو الفضل العقباني عن بكر يتيمة فرت من وطنها إلى وطن آخر بسب المجاعة فوقعت عند أحد شيوخ العرب الذي حبسها ببيته مدة وتزوجها بغير رضاها فمكثت ببيته شهرين وهربت مع رجل آخر (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص145).

فضلا عن مشاكل عائلية نجمت عن تعدي الوصي على مال اليتيم، فقد سئل أحد الفقهاء عن رجل باع بقرات وأوقف ثمنها على ابنه حتى يكبر، وتوفي بعدها إلا أن عم الصبي تعدى على المال الموقف وبرر تعديه على أنه دين كان بينه وبين أخيه (أبو زكريا المازوني، 2009، ج3، ص87) كما سئل "عن يتيم ليس له وصي ولا مقدم من قبل القاضي وهو في كفالة امرأة، فأمرت الكفيلة عم اليتيم ببيع حيوان له فباعه العم وهو يزعم أن البيع لمصلحة ظهرت له، وقبض الثمن ولم يدفع لليتيم ولا للمرأة الكافلة وبقي الأمر على ذلك إلى أن بلغ اليتيم، فطالب العم بالثمن فمنعه منه، فطلب المشتري حيوانه، فامتنع أيضا، فترافعا للقاضي فأمر بفسخ البيع وبلزوم الغلة"(أبو زكريا المازوني، 2009، ج3، ص321).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وحتى اليتيم الذي كانت له أموال تم الاحتيال عليه فيها فقد سئل أبو الفضل العقباني عن رجل أعطاه القاضي أموال يتيم ليتاجر بها فلما طالبه بالأرباح زعم التاجر أنه أخذها قراضا(أبو زكريا المازوني، 2009، ج4، ص141) وهي تفاصيل إن دلت على أمر فإنما تدل على تكالب المجتمع على استغلال ضعف اليتيم وانتهاك حقوقه سواء المالية أو ما تعلق بالشرف.

واضطرت الظروف المعيشية العديد منهم إلى العمل والتضحية بالدراسة، فقد قامت والدة أحمد بن زكري بإدخاله عند طراز ليتعلم الحياكة وكان يأخذ أجرة قدرت بنصف دينار شهريا (ابن مريم، 2010، ص48). وإذا كان المجتمع يمنّ عليهم فلا يكون ذلك إلا بما لا منفعة ترجو منه، فقد وردت على عبد الرحمن الواغليسي نازلة تعبر عن الاحتقار الذي يكنه المجتمع لهم، وكان فحوى السؤال "عما يعطيه اليتيم مما جنى من الشجر والحشيش الذي يؤكل وليس له قيمة ولا منفعة بوجه من الوجوه" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج4، ص164).

غير أن النشاط الصوفي كان متعاطفا معه، بدليل أنه أوجد حيزا في خطابه وممارساته بالتخفيف من معاناتهم، فقد حصل سيدي أبو يعقوب العشعاشي بعد عودته من المشرق على خمسمائة دينار ذهبا " فتصدق بجميعها على الضعفاء والمساكين من الفقراء والأيتام" (موسى بن عيسى المازوني، 2017، ص176) كما قام أبي عبد الله الشوذي بشراء كسرة خبز سميد وتصدق بها على يتيم "ذي أطمار بعد علمه بحاجته" (يحي بن خلدون، 2011، ج1، صص165-166) وهي إشارة تفصح عن معاناة بعض اليتامى من إهمال المجتمع مما يضطرهم إلى الخروج بحثا عما يسد رمقهم من بقايا الطعام، ويبين لنا النص أن المتصوفة كانت لهم مكاشفات يعرفون من خلالها حاجة اليتامى، فمصطلح أطمار لا يفيد الثوب القديم المهترئ، وإنما يفيد أن حاله لم تكن تفصح للآخر عن فقره وحاجته، ولهذا فبعد مكاشفة سيدي الحلوي عن حاله علم بحاجته فتصدق عليه (ابن مريم، 2010، ص85) ووسط كل هذه المعاناة نتساءل عن دور السلطة الزيانية باعتبارها المسؤولة عن جنودها فهي التي خاضت بهم غمار المعارك فهل كانت لها مواقف تحسب لها في صالح اليتامى؟ نستطيع القول أن السلطة بالرغم من تخصيصها يوم الجمعة لتفقد الأيتام حسب ما ورد في وصايا أبو حمو موسى الثاني (أبو حمو موسى الزياني، 2012، ص149) وهو ما يرجح نرجح أن السلطان الزياني لم يهمل تماما أيتام الجنود، إلا أننا لا نميل إلى التأكيد على شمولية هذا الأمر على كل المناطق التابعة للدولة.

ثالثا: الزوجة والتغيب المطول للزوج الجندي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من الطبيعي أن تكون لهذه الغيابات المطولة آثار مباشرة على أسرة الجندي فهي الوحيدة التي تستشعر هذا الغياب على مستويين، المستوى النفسي أو العاطفي والمستوى الاقتصادي، وحتى نبتعد عن التجريد فإن الأسرة نعني بها الزوجة والأطفال، وقد فصلنا في عنصر سابق حول الطفل والمؤثرات النفسية والصعوبات الاقتصادية التي تعترضه، أما الزوجة فإن أبرز أثر تعاني منه نتيجة غياب الزوج هو الجانب المتعلق بالرغبات الجنسية فحسب الدراسات في مجال علم النفس فإن حاجة الزوجة للجنس تكون في أقل الحالات مرة أسبوعيا، بمعنى أن غياب الزوج لأكثر من أسبوع ينتج عنه خلل في المعدل الطبيعي للمارسة الجنس (تيم ويفرلي لاهاي، 2012، صص208-209) وكما هو مبين في الجدول فإن الكثير من الحملات العسكرية تجاوزت مدتها أسبوع، والعديد منها كانت لأشهر، دون الحديث عن بقية الحملات التي سكتت المصادر عن تزويدنا بالفترات التي استغرقتها، فكيف سيكون تعامل الزوجة مع هذا الغياب؟

يبدو أن غياب الزوج شكل أبرز هاجس أرق الزوجة وأثار حنقها ومخاوفها، بدليل أنه وردت نازلة "عمن غاضته زوجته فحلف ليشغلن سرها وليغضبنها وهو يعلم أن السفر والغيبة مما يغيظها" (أبو العباس الونشريسي، 2012، ج2، ص58) وفي حقيقة الأمر فليس السفر بحد ذاته ما يثير غضبها بل ما ينجر عنه من تعطش للممارسة الجنسية خلال فترة الغياب، وباعتبار أن الفترة اتسمت بالاضطراب الأمني وكثرة الفتن فإنه لاشك أن المرأة ستتأثر نفسيا جراء كل هذه المشاكل، ومن الناحية النفسية أثبتت الدراسات أن ممارسة الجنس تساعد في التخفيف من الضغوطات النفسية لأن الاتصال الجنسي بين الزوجين باعث على المودة والألفة كما أنه يفرز هرمون الدوبامين الذي هو هرمون السعادة (كريمة البهجوري، 2010، ص201) وتشير العديد من النوازل عن استفحال ظاهرة التعطش الجنسي لدى الزوجة مما نتج عنه عدة مشاكل، فقد أدى الغياب المطول لرجل عن زوجته قبل أن يدخل بها إلى زواجها من آخر رغم إنفاقه عليها، ويقف النص الفقهي عاجزا عن إبداء سبب زواجها مكتفيا بعبارة "بغير سبب" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص405) إلا أن العامل الجنسي واضح وضوح العيان في هذه القضية بحكم أن الزوج غاب عامين وهي فترة جد طويلة على الزوجة لا تملك لنفسها أية مقاومة أمام متطلباتها الجنسية، وفي حالة أخرى اضطرت زوجة لم تتحمل الغياب المطول لزوجها إلى تطليق نفسها والتزوج برجل آخر، وبعد دخوله عليها سمع هذا الزوج أن لها زوجا وقد توفي مؤخرا (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص111).

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولم يكن الغياب وحده مسبب لهذه المشاكل وإنما حتى مقتل الزوج أين تصبح الزوجة بعده ثيبا ولا تبقى من دون رجل وهو ما يضطرها في العديد من الحالات إلى ارتكاب المحظور من قبيل الدخول في علاقة محرمة مع رجل آخر، وإذا فرض عليها المجتمع أعرافه وتقاليده التي تراها حتما ضيقة أمام متطلباتها الجنسية فإنها تهرب مع الرجل، فقد وردت نازلة عن "امرأة توفي زوجها وهربت مع رجل بقرب ذلك ومكثت عند الهارب تسعة أشهر وفر بها وولدت" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص305) وإذا حدث وأن تقدم خاطب لثيب ولاقى رفضا من أهلها فإن المرأة تقف ضد أهلها وتقبل به مثلما تكشفه النازلة التي سئل فيها إبراهيم العقباني عن " رجل خطب ثيبا فأبى منه أبوها ورضيت هي به فوكلت رجلا وزوجها...فلما سمعت ابنته مقالته ظنت أنه يريد منعها لما سبق من منع إعطائها له فخرجت لزوجها وحملها وبنى بها" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج2، ص167).

إضافة لما سبق فإن المشاكل المتعلقة بالنفقة أعاقت كثيرا زوجة الجندي المقتول مما يضطرها إلى البحث عن عمل، فقد سئل أبو الفضل العقباني عن "امرأة توفي زوجها وبقيت بعد مدة طويلة تخدم ما تخدم به نساء البادية من الكسي والحنابل" (أبو زكريا المازوني، 2009، ج3، ص271) وهو ما يوضح أن زوجة الجندي في البادية عانت الأمرين في الإنفاق عن نفسها وعن أطفالها، وليست هذه حالة شاذة، فسؤال النازلة جاء بصيغة الجمع والذي يعبر عن الانتشار الواسع لعمل النساء في بيوتهن لتوفير رمق العيش، وهو ما يعبر عن غياب تام للسلطة عن أحوال عائلات جنودها في البوادي، ومما يوضح حالتهم المزرية تصدق أبي الحسن المريني بثياب وأواني والدته على الأرامل المجاورات لضريح سيدي أبي مدين شعيب (محمد بن مرزوق التلمساني، 1981، ص242) وهو ما يعطي إشارة إلى ارتيادهن للأضرحة تلمسان لصدقات المحسنين الذين يأتون للتبرك بالأضرحة.

خاتمة:

صفوة القول أن تماسك الأسرة خلال العهد الزياني قد هدد وتفكك صرحه بسبب حالة الحرب السائدة والتي اختطفت أرباب الأسر الذين كانوا وقودا لها مما كان له الأثر السلبي على الزوجة والأطفال، فهذه الشريحة الضعيفة عانت الأمرين فلم ترحمهم سيوف المقاتلين ولم يجدو معيلا لهم بعد تيتم الكثير منهم، وحتى المجتمع تكالب على هضم حقوقهم ولم يجدوا سندا لهم سوى شريحة الأولياء والمتصوفة التي قدرت الضغوطات النفسية التي عانوا منها والصعوبات المعيشية التي كدرت صفو حياتهم، أما المرأة فهي الأخرى

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عانت من التغيب المطول لزوجها مما وضعها في حرج كبير لم يقدر المجتمع معاناتها مما جعلها في الكثير من الأحيان ترتكب المحظور لإشباع حاجاتها البيولوجية.

جدول يوضح مدد الحملات العسكرية للجيش الزياني من خلال المصادر:

وجهة الحملة	تاريخ الانطلاق	تاريخ العودة	مدة الحملة	المصدر والصفحة
بلاد مغراوة وتوجين والسرسو	أواخر ذي الحجة 706هـ	رمضان 707هـ	9 أشهر	العبر، ج7، ص130
برشك	693هـ		أكثر من أربعين يوما	العبر، ج7،ص133
وادي ورك ببلاد العطاف	1 محرم 750هـ	أواخر ربع الثاني 750هـ	أربعة أشهر	العبر، ج7،ص157
بلاد مغراوة	شوال 750هـ	ربيع الأول 751هـ	ستة أشهر	العبر، ج7،ص157-158
تنس	محرم 752هـ	منتصف شعبان 752هـ	سبعة أشهر ونصف	العبر، ج7،ص160
	منتصف ذي القعدة 752هـ	ربيع الثاني 753هـ	خمسة أشهر ونصف	العبر، ج7،ص161
بلاد توجين	12 ربيع الأول 698هـ	3شعبان 698هـ	خمسة أشهر	بغية الرواد، ج1،ص231
	20 ذو الحجة 706هـ	رمضان 707هـ	9 أشهر	بغية الرواد، ج1،ص234.
وادي ورك ببلاد العطاف	10 محرم 750هـ	اخر ربيع الثاني 750هـ	4 أشهر	بغية الرواد، ج1،ص260.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وادي رهيو	23 شوال 750هـ	26 ذو القعدة 750هـ	شهر وثلاثة أيام	بغية الرواد، ج1،ص260.
تيعزيزن بشلف	6 رجب 751هـ	1 شوال 751هـ	ثلاثة أشهر	بغية الرواد، ج1،ص262،261
تنس	1 محرم 752هـ	18 رمضان 752هـ	تسعة أشهر	بغية الرواد، ج1،ص262.
	15 ذي القعدة 752هـ	3 ربيع الثاني 753هـ	خمسة أشهر	بغية الرواد، ج1،صص 262-263.
	2 جمادى الأولى 760هـ	2 جمادى الثانية 760هـ	شهر	بغية الرواد، ج2،ص48-49.
الصحراء	29 رجب 761هـ	8 رمضان 761هـ	أربعين يوما	بغية الرواد، ج2،ص74.
	18 رمضان 761هـ	2صفر 762هـ	4 أشهر ونصف	بغية الرواد، ج2،ص75-81
	21 رجب 763هـ	16 شوال 763هـ	شهرين و27يوم	بغية الرواد، ج2،ص100-106
	13 رجب 764هـ	4 شوال 764هـ	شهرين و21يوم	بغية الرواد، ج2،ص127-128.
	2رمضان 766هـ	4شوال 766هـ	32يوم	بغية الرواد، ج2،ص149.
	12 شوال 767هـ	15 ذو الحجة 767هـ	شهرين و3 أيام	بغية الرواد، ج2،ص171-172
	27 جمادى الأولى 768هـ	21 رمضان 768هـ	شهرين و22يوم	بغية الرواد، ج2،ص188،186.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

	6ذو القعدة 768هـ	15 ربيع الأول 769هـ	أربع أشهر وأسبوع	بغية الرواد، ج2، ص188، 193.
	6شعبان769هـ	21شوال 769هـ	شهرين وأسبوعين	بغية الرواد، ج2،ص197،194.
	12 ذو القعدة 770هـ	1ربيع الأول 771هـ	3 أشهر و19يوم	بغية الرواد، ج2،ص217،212
	18 ربيع الثاني 771هـ	13 جمادى الثانية 771هـ	شهر و25 يوم	بغية الرواد، ج2،ص224.
	14 محرم 772هـ	24 جمادى الأولى 774هـ	سنتين و4 أشهر	بغية الرواد، ج2،ص229، 258.

قائمة المراجع:

1-مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

2-ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، القاهرة، 2010.

3-عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102
4- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج2،تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 2011.
5-محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
6-أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب، ج2، تحقيق محمد عثمان، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
7-أبو زكريا يحيى المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة،ج2-3-4، تحقيق مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر،2009.
8-أبو عمران موسى بن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2017.
9-أبو حمو موسى الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار الشيماء، دار النعمان، الجزائر، 2012.
10- تيم وبفرلي لاهاي، روعة الجنس في الزواج، ترجمة شريف شاكر، مكتبة الحرية، ط6، 2012.
11- كريمة البهجوري، الموسوعة النفسية، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.